تفسير الكشاف ومكانته في المغرب الأقصى والأندلس

الأستاذ: عبد الصمد أمزيان

ماستر في الدراسات الإسلامية- أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي بوزارة التربية والتكوين- المغرب

ملخص البحث:

تروم هذه الورقة العلمية التي اتخذت من تفسير الكشاف للإمام الزمخشري رحمه الله في المغرب الأقصى والأندلس موضوعا لدراستها أن تبرز الحظوة الجليلة التي لقيها التفسير في هذا القطر، وكيفية انتشاره فيه، وبيان موقف علمائهم وآرائهم التي اختلف بين قادح ومشنع عليه بسبب مذهب صاحبه الاعتزالي ، وبين مادح لما ذكر فيه من جمالية بلاغية وأسلوب بديع، مع إيراد أهم ما ألف من تصانيف على هذا السفر العظيم، إما لشرحه أو اختصاره أو الرد عليه.

الكلمات المفتاحية: تفسير الكشاف، الإمام الزمخشري، المغرب الأقصى، الأندلس، الاعتزال.

This scientific paper aims to shed light on the explanation of AL KASHAAF by Imam Al- Zamakhshari, may God have mercy on him in Andalusia and the far west (Maghrib) regions and the favour that his interpretations received in these regions. Likewise, the paper shows how his interpretation spread. It also explains the position of the scholars' region and their opinions that criticised him heavily because of the doctrine adopted by the writer. Not to forget those who found the book fascinating thanks to its rhetorical aesthetic and wonderful style. The paper will also mention works that either it explains, respond or summarise it.

key words: Interpretation of AL KASHAAF, Imam Zamakhshari, Far Maghrib, Andalusia region, Mu'tazila.

مقدمة:

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدلِه، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وبعد:

فقد عرفت بلاد المغرب الأقصى والأندلس علماء فطاحلة أبدعوا في مختلف العلوم والفنون، وكانت ولاتزال هذه البلاد رحماً بكراً لولادة تراث علمي زاخر تزينت به المكتبات العربية والاسلامية، وأوشكت به أن تزاحم تراث المشارقة العلمي في نتاجهم وعطائهم، لولا الشح المطاع الذي طالهم في التصنيف لمختلف الأسباب من جهة، فضلا عن ما شاب مؤلفاتهم من وأد ، وتلف، وضياع من جهة أخرى.

ورغم تعاقب الدول الحاكمة على الغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى والأندلس بخاصة، وسرعة غروب شمسها وانهيارها، وقيام دول أخرى، وما صاحب ذلك من انتشار للفتن، وعدم للاستقرار (سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا)، وسقوط قلعة الريادة الأندلس، وما أسفر عن ذلك من تشرذم الوحدة العلمية والثقافية، إلا أن هذا الصقع النائي ظلت قدمه راسخة في العلوم كلها، بارعة فيها، ولم تنب عزيمته ولم تكل، فتميز في العلوم الشرعية كالفقه، والتفسير، والحديث..، كما ذاع صيته أيضا في العلوم الكونية : كالفلك، والحساب، والجغرافيا، وغيرها، رغم الضعف الملحوظ في التأليف خاصة في الأراعيل الأولى. وهذا ما أوهم خلقا كثيرا أن علماء المغرب لم تكن لهم يد طولى في التصنيف، فلم يخطوا كتبا، ولم يؤلفوا أسفارا ، سوى الاكتفاء بما عند غيرهم من تواليف، وهذا إلى حد بعيد ضرب من الصواب، لا يمكن غض الطرف عنه، لأنهم عرفوا بدماثة خلقهم، وشدة تواضعهم، وعدم تسرعهم إلى ذلك، ولم يروا أنهم أهل لذلك، إيمانا منهم بقول القائل:

لَم يَدع مَنْ مَضَى للَذي قَدْ غَبر فَضل علم سِوى أَخذه بِالأثر[1]

"فقد كانوا مع جلالة علومهم ووفور ديانتهم وعقولهم، كثيرا ما يتهمون أنفسهم بالعجز والتقصير، ويرون أنهم ليسوا أهلاً للتأليف والتصدير، ركونا منهم لزوايا الخمول وإيثارا للنجاة، خوف أن يكون العمل معولا وسلوكا لطريق السلامة الذي هو دليل على متانة الدين وعلامة، ولذلك قَلت لهم المؤلفات التي هي سبب الشهرة في الحياة، وبقاء الذكر بعد الممات"[2] وبلا ريب، فهذا الاعتقاد قد ضيع على الأمة قاطبة إرثا جليل النفع، وذخرا عظيم المنزلة، كان سيعتبر من النفائس.

وإذا علمنا أن ديدنهم مع سائر العلوم كيفما كانت خاصة الشرعية منها، هو كذاك، فإن حالهم مع علم التفسير سيكون أعظم، لأن شرفه بشرف ما يعنى به، من بيان لآي القرآن الكريم وتفسير لمعانيه وتأويل لكلماته،

1- زهر الأكم في الأمثال والحكم، أبو علي اليوسي، تحقيق: محمد حجي، الشركة الجديدة – دار الثقافة بالدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1401هـ، الجزء3، الصفحة: 77.

2- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد جعفر الكتاني، تحقيق حفيده: محمد علي الكتاني، الموسوعة التاريخية لتاريخ فاس4، الجزء1، الصفحة :5.

وبالتالي فإن جزعهم أعظم من أن يجترؤوا على الخوض فيه بما لا علم لهم به، مخافة من الوعيد الشديد الذي توعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

«اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النّار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»[1]، ويجعلون قدوتهم في الطريق الصديق أبا بكر رضي الله عنه في قولته الشهيرة: " أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في القرآن بغير علم"[2]. فهذا الاحجام دفعهم للاكتفاء بالتفاسير المغاربية والأندلسية الموجودة[3]، أو التي ترد عليهم من المشرق، فعكفوا عليها وعلى تعلمها وتعليمها، فبات من زمرتها تفسير "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لعبدالحق بن عطية الأندلسي[4] رحمه الله (ت542هـ)، الذي ذاع صيته، واتسعت رقعة اشتهاره، وأقبل طلبة العلم عليه لدراسته والعناية به « باعتباره يمثل أهل السنة أولاً، ويلخص ما تناثر عند المفسرين القدامى في تفاسيرهم المختلفة ثانياً، فيجمع من معنى النص ما تأدى إليه فهم الصحابة والتابعين بعدهم، ويسرد من المأثور ما يستعين به على توضيح المعنى، ويشرح اللغة ويعرب ويبين البديع والبيان»[5].

1- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 م، ج:5، ص:49، رقم:2951.

2- جامع البيان في تأويل القرآن، الامام ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة للنشر، الطبعة الأولى سنة 1420هـ، الجزء 1، الصفحة 78.

3- وليس المراد من قولنا ذلك نفي وجود تفاسير مغربية وأندلسية، إنما وجودها لم ينل الحظوة والعناية الكافية كغيرها. وإن صنيع الباحثة سعاد الأشقر في كتابها" التفسير والمفسرون في المغرب الأقصى" وما خطه الباحث مصطفى المشني في " مدرسة التفسير في الأندلس" ، أزال كثيرا من الغبش حول التفاسير المغربية والأندلسية.

4- ابن عطية (481 - 542 هـ) :هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، كان عارفا بالأحكام والحديث، له شعر، ذكي وفطن ، من أوعية العلم، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين.راجع: سير أعلا م النبلاء، لشمس الدين الذهبي، الجزء 14، الصفحة 402.

5- فهارس علماء المغرب منذ النشاة إلى القرن الثاني عشر للهجرة: منهجيتها، تطورها، قيمتها العلمية، عبدالله الترغي، وهو في أصله أطروحة ماستر، تحت إشراف الدكتور: عبدالسلام الهراس، سنة 1983هـ، كلية الآداب والعلوم الانسانية التابعة لجامعة محمد بن عبدالله بفاس.

أما من المشرق فقد وفدت منه إلينا تفاسير نفيسة، من أشهرها تفسير الإمام جار الله الزمخشري رحمه الله[1]المتوفى سنة 538هـ، الموسوم باسم "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، فانكبوا على هذا المصنف قراءة، وعقدت مجالس العلم عليه. وتنوعت أضرب دراستهم له، ما بين مختصر له ولما تضمن من أساليب بلاغية ولغوية، وطاعن في اعتزالياته مُكفر لصاحبه، معتبر أن ما حواه بين دفتيه لَيٌّ لأعناق الآيات، وتأويلاته لها مخالفة لعقائد أهل السنة، وصنف ثالث شارح له مؤلف للحواشي في تفصيله، وآخرون قارنوا بينه وبين تفاسير أخرى، كتفسير ابن عطية الأندلسي تحديدا، لتقارب عصري المؤلفين ، واعتمادهما بعض المصادر المشتركة،كما سيأتي بيانه.

وبالتالي فإن أهمية هذه الورقة البسيطة في فحواها أنها تحاول جاهدة أن تكشف اللثام عن تلكم الجوانب المتعلقة بالكشاف في المغرب والأندلس والتي نَدُر الوقوف عليها، وشُحت الكتابات عنها، إلا شذرات هنا وهناك متفرقة، ومشتتة بين دفتي أسفار عظيمة، يلزم الغوص في مظانها لاستجلاء دُررها وكنوزها، ساعية الاجابة عن الإشكالات التالية:

- إبراز مدى اهتمام علماء المغرب الأقصى والأندلس بالتفسير عامة وبتفسير"الكشاف" للزمخشري رحمه الله خاصة، وبيان كيفية انتشاره وسبب الحظوة الرفيعة التي لقيها عندهم، مع ذكر آراء علمائهم في هذا التفسير.
- إيراد أشهر من اعتمد تفسير الكشاف كمصدر من المصادر في تأليف التفسير، مع ذكر ما ألف عنه من كتب أخرى.

وحسبي من هذه الوريقات التي أخطها- بعون الله- والتي تروم في أهدافها الوقوف على مكانة تفسير الكشاف، ومدى حضوره في المغرب الأقصى والأندلس، وذكر ما أفرد من كتب لمدارسته، وكشف الغمام عن الحظوة الجليلة التي شهدها عندهم، فاستحسنه علماؤهم فضلا عن طلبة العلم، رغم النزعة الاعتزالية التي اتصف بها صاحبه، إلا أن ذاك لم يحل دون اعتباره لبنة من اللبنات التي أقيمت عليها معالم التفسير في هذا القطر الإسلامي، لأن تفاسير شتى في هذه المنقطة استندت إليه.

ولعدم وجود دراسة مستوفية — حسب اطلاعي- لعناية علماء المنطقة بهذا السفر العظيم، والتعريف به، وبما ألف عنه من: حواشي، وتقييدات، وتعقيبات، وردود على اعتزاله، سوى دراسات عامة عن تفسير الزمخشري

1- أبو القاسم محمد الخوارزمي الزمخشري (467 - 538 هـ): جار الله، من أئمة العلم بالدين والتفسير، معتزلي مشهور، له كتب عدة أجلها تفسير الكشاف الذي جوهر هذه الدراسة. راجع: سير أعلام النبلاء ج15 ص18.

كبيان منهجه الذي اعتمده في التفسير، مثل "المنهج البياني في تفسير الكشاف للزمخشري" لأدهم محمد، وكتب أخرى لشرحه وبيان معانيه كحاشية الجرجاني، ومن الدراسات القيمة التي تناولت بين دفتيها الحديث عن هذا التفسير أيضا، دراسة لعزيز أبوشرع استهدفت الحديث عن الفكر الاعتزالي عامة، تحت عنوان:" الفكر الاعتزالي في الغرب الإسلامي وسؤال الحضور والغياب: في الاستقبال النقدي لكتاب الكشاف للزمخشري"، وغيرها.

وستكون دراستي هذه وفق منهج مبني على جمع واستقراء المعطيات العلمية المتعلقة بهذا التفسير والتي لها ارتباط بهذا القطر من العالم الإسلامي، بغية الإجابة عن الإشكالات السابقة، وبخطة بحث قائمة على مطالب ثلاثة، يمكن إجمالها في ما يلي:

- المطلب الأول: عناية علماء المغرب الأقصى والأندلس بعلم التفسير: الكشاف للزمخشري أنموذجا.
- المطلب الثاني: آراء علماء المنطقة في تفسير الكشاف، والتفاسير التي اعتمدت عليه في التأليف.
- المطلب الثالث: التواليف التي صنفت عن الكشاف في المنطقة.

المطلب الأول: عناية علماء المغرب الأقصى والأندلس بعلم التفسير: الكشاف للزمخشري أنموذجا:

لا يخفى على ذي بصيرة أن هذا القطر اعتنى بالقرآن الكريم أيما عناية تحفيظا ومدارسة، وأولوا علومه الاهتمام الفائق، فدرسوا التفسير في الحلق والمساجد والمجالس، والناس عامة مقبلة عليه، وعلى فهم المراد من كلام الله عزوجل، فضلا عن أهل العلم، ولشرفه هذا كان لا يتصدر لتلقينه وتدريسه، والأخذ بزمام هذه المهمة إلا من أذن له بذلك[1]، نظرا لحرصهم الشديد على أن يفهم كلام الله عز وجل في سياقه، والتخلص من أية شائبة عالقة به قد تحرف معناه.

هذا فضلا عن العلوم الأخرى كالرسم القرآني، وعلم التجويد، إذ يمنع أن يقرأ من ليس له إلمام بها[2]، لأن عدم الدراية بقواعد التلاوة قد يؤدي إلى تحريف النصوص والآيات، وتجاوز هذا الحرص إلى العناية بالقراءات فقعدوها وبسطوها، وألفوا فيها الأسفار العظيمة[3]، ولقنوها لطلبة العلم، وقد كان في سهول المغرب وجباله وقراه

1- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى عبدالعزيز بن عبدالله، مركز البحوث لجامعة الامام بن سعود الاسلامية، سنة: 1405هـ، الصحفة:45.

2- الإعلام بمن حل مراكش وأغمارت من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، المطبعة الملكية- الرباط، الطبعة2، سنة 1413هـ، الجزء 2، الصفحة: 115.

3- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحة 45.

عشرات الآلاف من المساجد لتحفيظ القرآن الكريم بالقراءات السبع[1]، ومثل ذلك في الأندلس، فلقد كانت القراءات علما متداولا خاصة في عهد "مجاهد العمري"[2]، كما يحكي عن ذلك ابن خلدون[3] رحمه الله في مقدمته الشهيرة إذ يقول:

"ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كُتبت العلوم ودونت، فكتبت فيما كتب من العلوم، حتى صارت صناعة مخصوصة، وعلما منفردا، وتناقله الناس في المشرق والأندلس، إلى أن ملك بشرق الأندلس 'مجاهد' من موالي العامريين، وكان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر، واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته، وكان سهمه في ذلك وافرا"[4]، فتميزوا بالقراءات السبع حتى عرفوا بها وأشير إليهم بالبنان، ومما يؤكد ذلك وجود مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه بينهم، وله عندهم منزلة رفيعة وشأن عظيم[5] وكان مكتوبا على طريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة، والأحرف التي نزل عليها القرآن، مع عدم إعجامها أو شكلها[6]. وما سبق فيه دلالة عظيمة على مدى تقديسهم لكتاب الله عز وجل وعظيم العناية به وبكل علومه.

بيد أن علم التفسير كان الأكثر شيوعا في المغرب الأقصى والأندلس، رغم تأخر نضجه، واستقلاله كعلم قائم بذاته ومستو على سوقه ، وهذا يدل عليه اكتظاظ الخزائن المغربية بنفائس غالية وتفاسير لامعة، على سبيل

1- المصدر السابق، الصفحة 13.

2- وهو مجاهد بن منصور بن أبي عامر ت 436هـ، نشأ في قرطبة، وكان محبا للعلم والأدب، عالما بالقراءات متفننا فيها، يشار إليه بالبنان في هذا العلم. راجع: جذوة المقتبس الحميدي، دار الغرب الإسلامي، تحقيق بشار عواد، سنة 2008م، الصفحة: 354.

3- عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون، ولد سنة 732هـ، الإشبيلي الأصل التونسي، نزيل القاهرة وقاضي المالكية بها، وكان بارعا في الأصول وغيره أديبا، مات في رمضان سنة 808هـ، من أشهر ما ألف: "العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". راجع: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لأبي الطيب المكي الفاسي، الجزء2، الصفحة 100و101.

4- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار القلم بيروت، الطبعة 1، سنة 1978م، الصفحة 437.

5- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي بيروت، الجزء 2، الصفحة 206.

9- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني دار إحياء الكتب العربية، تحقيق عيسى البابي الحلبي، الجزء 1، الصفحة 146.

الذكر فإن في الخزانة الناصرية فقط في قلب الصحراء ما يربو عن الأربعين تفسيرا وحاشية على القرآن الكريم[1]، ووجد في مكتبة الكتاني تفاسير الكشاف وغريب القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وغيرها[2]، وأغلبها تفاسير قدمت إلى المغرب الأقصى والأندلس من المشرق، ليزيدنا هذا تأكيدا على أحد أسباب ندرة الإنتاج العلمي في هذا الفن، وهو الاعتقاد السائد المتمثل في أن الأوائل لم يتركوا شيئا إلا وخاضوا فيه، والالتزام بما أنتجوه فحسب، والاكتفاء ببضاعتهم ، وبتفاسير الأخرين ، ففيها ما يشفي العليل ويروي الغليل. وفي طليعتها الكشاف للزمخشري، بحيث لا تكاد تجد خزانة أو مكتبة إلا هو ضمن رفوفها.

"فلم يكونوا يصنفون ويؤلفون لمجرد التصنيف والتأليف، بل حرصين على أن لا يزيدوا الطين بلة، و أن لا يضيفوا إلا الضروري المفيد". [3]

إلى جانب ما سبق، فقد تضافرت أسباب شتى في تأخر استقلال علم التفسير، نخص بالذكر الركود الذي طال الجانب العلمي والفكري في هذا القطر، كسيطرة الفقهاء على الساحة العلمية في بعض الحقب، ففي عهد المرابطين (430هـ – 541هـ) وعهد المرينيين (668هـ- 869هـ) كان للفقهاء منزلة رفيعة في السلطة، فأصبحوا" يرسمون السمات العامة للنمط الثقافي الفكري، ويُمارسون رقابة تحدد ما هو جائز فينشر بين الناس، وما هو ممنوع فيهجن ويبعد"[4]، والفقيه فيها هو الآمر والناهي" فإذا أفتى أو تدخل في قضية ما سُمع وأطيع، ونُفذ أمره في الحين بدون مراجعة أو استثناء"[5]، وهذه السلطة التي أسندت إلى بعضهم، قد أورثت في قلبهم جرأة عظيمة، وشططا في استخدامها أدت إلى المطالبة بإهدار دم الكثير من العلماء الأجلاء أمثال لسان الدين الخطيب(ت 776هـ)، والمطالبة بعزل الوزير ابن يعقوب الوطاسي من منصبه بكيدهم، ثم بإيعاز منهم أولم يفقد السلطان عبد الحق المريني عرشه بتدبير وتخطيط منهم؟[6]

1- الإعلام،الجزء5، الصفحة 232

2- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحة 13.

3- المصدر نفسه، الصفحة 11.

4- المهدي بن تومرت: حياته، وآراؤه، وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الطبعة:1، الصفحة: 43.

5-مظاهر الثقافة المغربية في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، محمد بن شقرون، مطبعة الرسالة ، الرباط، الصفحة 197.

6- المصدر نفسه، الصفحة 199

ولاشك أن معاداتهم حلت أيضا بكل لون علمي جديد غير الفقه، كتلقين التفسير الذي رأو فيه تطيرا وشؤما يؤدي بموت الحاكم وجفاء السلطان، وظل هذا الجمود سائدا على هذه الحالة إلى العقود الأخيرة، ومثاله ما حكاه محمد ابن الحسن الحجوي رحمه الله[1] قال: "درست صحيح البخاري بالرباط ومراكش لما كنت موظفا، ثم بفاس، ولما بلغت كتاب التفسير قرأته مفصلا، وكنت أملي فيه ملخصا من جملة تفاسير: كالطبري، والرازي، والبيضاوي وروح المعاني، وأحكام ابن العربي، وغيرها، بعد ما تركوه مدة سنين من قبل، ورام بعض الولاة منعي منه بدعوى التطير بقراءته وأنه يتسبب عنه موت السلطان كما فعلوه بشيخي كنون رحمه الله [2] فيما سبق، فعصمني الله منهم واكملته و الحمد لله، وكان ختمه بالضريح الإدريسي سنة 1338ه"[3] وهذه الوقائع في المغرب الأقصى لها مثيلاتها في الأندلس أيضا ولا يتسع المجال لذكرها.

سوى أن هذه الأسباب لم تحل بينهم وبين تدريسهم للتفسير والاستفادة مما عند غيرهم، فلقد كان من نتاج العلاقة القائمة بين ربوع بلاد المسلمين في مشارقه ومغاربة، وتلاقح الثقافة واتصال جسور العلم بين خافقيه، اهتمام أهل المنطقة ببعض التفاسير المشهورة في الساحة العلمية عند المشارقة، فعرفت أسماء لامعة على رأسها تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير الماوردي، والكشاف للإمام الزمخشري رحمه الله وهو بيت القصيد عندنا، إذ اهتموا به اهتماما بالغا؛ تدريسا، وشرحا، وتعليقا، واختصارا، وتنقيحا، وعل أجل أسباب انتشاره في المغرب الأقصى والأندلس وغيرها من البقاع، ما يتميز به هذا السفر العظيم من ميزة قل نظيرها عند غيرها من جمالية اللغة، وجلالة المعنى، ورقة المبنى والبيان ،كل ذلك في قالب مختصر لطيف، ومما شاع على ألسنة العلماء منذ قرون، وأورده أبو حيان الأندلسي رحمه الله [4] في مقدمة تفسيره "البحر المحيط"، وهو مورد القول المأثور، والأمر

1- هو محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي(1291هـ-1376ه)، من مالكية المغرب، درس في القرويين، ولي وزارة العدل، فوزارة المعارف، له العديد من الاصدارات أجلها" الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" وثلاث رسائل في الدين وغيره". راجع: الأعلام لخيرالدين الزركلي،الجزء6، الصفحة 96.

2-وهو محمد بن عبدالسلام كنون المستاري الفاسي (1326ه) العلامة المغربي المتفنن، بارع في اللغة والتفسير، وقصته أنه أيضا عفي من تدريس التفسير ومنع من ذلك لأنه بعض الفقهاء وشوا به وزعموا أنه يتسبب عنه موت السلطان فشغلوه بولاية القضاء بآسفي. راجع: الفكر السامي، للحجوي، الجزء 2، الصفحة 313.

3- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، تعليق: عبدالفتاح القارئ، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1976م، الجزء 2، الصفحة 386.

4- ولد سنة654ه بغرناطة وتوفي 745ه بالقاهرة، وهو من كبار العلماء في العربية والتفسير والحديث والتراجم، من أهشر تصانيفه: "البحر المحيط" في التفسير، و"مجاني العصر" وغيرها. راجع: الأعلام، الجزء7، الصفحة: 152.

المشهور، لابن بشكوال[1] رحمه الله في مقارنته بين تفسيري ابن عطية والزمخشري من أن "ابن عطية أجمع وأخلص، والزمخشري ألخص وأغوص" [2]. ووصفه إياه بكونه يمتاز بالاختصار في اللفظ، وبأنه أعمق وأغوص في المعنى، وهذا قد لا يتأتى لأي مفسر ما لم يكن ضليعا في اللغة له باع فيها، وهذا مما تميز به جار الله رحمة الله عليه في كشافه، فضلا عن مميزات أربع أخرى، قال الزرقاني رحمه الله :" مميزات الكشاف خمسة أمور:

- الأولى: خلوه من الحشو والتطويل، إذ هو من ركائز تفسيره، فيقتصر على الايجاز كأن يفسر بالكلمة والكلمتين، ويترك الاطناب ، إلا ما ندر في بعض الآيات.

- الثانية: سلامته من القصص والإسرائيليات، وهذا جلي لكل مطالع له، فقلما يذكر رواية منها.

- الثالثة: اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم،

- والرابعة: عنايته بعلمي المعاني والبيان والنكات البلاغية، تحقيقا لوجوه الإعجاز، ولعل هاتين الخاصيتين (الثالثة والرابعة) هي القصد من وصف ابن بشكوال رحمه الله له بالأغوص.

- الخامسة: سلوكه فيما يقصد إيضاحه طريق السؤال والجواب كثيرا[3]، وهذا الأسلوب طاغ فيه، فالسؤال يأتي بصيغة فإن قلتَ، والرد عليه يكون بقُلتُ، مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ (البقرة، الآية03) يورد فيه ما نصه: " فإن قلتَ: ما الإيمان الصحيح؟ قلتُ: أن يعتقد الحق، ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله..."[4]

هذه السمات زادت من اهتمام علمائنا بهذا التفسير، حتى بلغ بالعديد منهم أن حفظه حفظا تاما ، كأبي القاسم الدكالي المتوفى سنة (ت978هـ)، الذي يعتبر من الأساتيذ (الأساتذة) المعتبرين عارفا بعلوم القرآن أداء ورسما وتفسيرا[5]، وعرف عنه أنه شيخ التفسير وإمامه في زمانه، يستظهر الكشاف للزمخشري، وينقل تفسير الفخر

1- أبو القاسم ابن بشكوال (494هـ-578هـ) ، مؤرخ وبحاثة من أهل قرطبة، ولي قضاء جهات من إشبيلية، له نحو خمسين مؤلفا، أشهرها "الصلة" في تاريخ رجال الأندلس. انظر: الأعلام، الجزء2، الصفحة: 311.

2-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبد الموجود وأخرون، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء 1 ص113-سنة 1413هـ

3- مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء 2، الصحفة59.

4- الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، سنة 1407هـ،الجزء1، الصفحة 128.

5- سلسلة الفهارس فهرس المنجور، أحمد المنجور، تحقيق، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، دار المغرب-الرباط، طبعة 1396هـ، الصفحة 66.

وغيره في مجلس إقرائه، ويحقق أقوال المفسرين بالرد والقبول[1]. وقلما نجد من يولع بتفسير ما فيحفظه ويستظهره من بنيات عقله غضا طريا، ولعل إيجاز ألفاظه، وبلاغة بيانه، ساعدت أبا القاسم الدكالي رحمة الله على استيعابه. وفي طبقات الحضيكي رحمه الله (1189هـ) شهادة في غاية الثناء في حقه، إذ يقول :"كان رحمه الله حافظا، من العلماء المحققين النقاد، برع في العلوم كلها، وكان إماما في التفسير ينقل في مجلس إقرائه كلام الكشاف وتفسير الفخر وغير ذلك، ويحقق أقوالهم ويدقق أنظارهم، ويميز منها الصحيح والسقيم، وبالجملة فهو شيخ القراء في عصره وإمام التفسير في وقته"[2]، ولايتوقع البتة من الحضيكي الإمام المحقق أن يصف عالما بالمشيخة في القراءات، والإمامة في التفسير ما لم يكن أهلا له، ولعل هذا ما يؤكد استعابه للكشاف.

وعلاقة المغاربة والأندلسيين بالكشاف وطيدة إلى حد أن شجعت الكثيرين إلى تحلية أبنائهم بلقب جار الله الزمخشري تيمنا بهذا الكوكب الدري، وإجلالا لقدره، مثل محمد الأكحل التلمساني الملقب بالزمخشري، وكذلك المقري التلمساني الذي لقب أيضا بالزمخشري[3]، وهذا اللقب الذي ألصق بهؤلاء وغيرهم نظرا لاقتفائهم أثار الزمخشري إما في اللغة والبيان، أو حفظهم لهذا التفسير، أو لعظيم تبجيلهم لما دون فيه من درر لامعة فحفظوها، ورددوها على ألسنتهم حتى عرفوا بذلك فنعتوا بلقب صاحبه.

ومما يلزم تسليط الضياء عليه أيضا، أن من أشهر العلماء الذين ارتحل إليهم الزمخشري للتتلمذ على أيديهم، وقراءة "**الكتاب**" لسيبويه عليه، الذي يُعد العمدة في اللغة، هو أبو بكر عبدالله بن طلحة بن محمد بن عبدالله اليابري الأندلسي[4]، نزيل إشبيلية، ثم استوطن في مصر بعد ذلك لسنوات، لينتقل بعدها إلى أم القرى مكة ، وبها التقى بالزمخشري، وبها مات، تُرجم له بإيجاز، وحُكيَ عن كونه "ماهرا في النحو، حافظا للتفسير، قائما عليه، ذاكرا للقصص المتعلقة به، وذلك كان الغالب عليه، وحلق به للعامة بإشبيلية وغيرها، فكانت العامة تنثال على مجلسه، وله في التفسير كتاب كبير ورد على ابن حزم، وكانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه، وبسببه ارتحل إليه

1- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد الحسني الشفشاوي، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر- سلسلة التراجم، الطبعة الثانية، الصفحة57.

2- طبقات الحضيكي، محمد بن أحمد الحُضيكي، تحقيق : أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديد- الدار البيضاء، الطبعة الأولى، الجزء1، ص 167.

3- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحة 16 .

4- كان ذا معرفة بالفقه، والأصول، والنحو، وخصوصا التفسير، مات بمكة سنة ثماني عشرة وخمسمائة. يراجع: طبقات المفسرين، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة 1396هـ، الجزء1، الصفحة: 55. وطبقات المفسرين، لشمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت، الجزء1، الصفحة 239.

الزمخشري من خوارزم لقراءته عليه[1]، وإن جهبذا كأبي بكر اليابري متفننا في اللغة عالما بأصولها، وملما بالتفسير ماهرا بآلياته، لابد وأنه أخذ بتلابيب الزمخشري ليرتحل إليه، ويغرف من معين علمه، ويرتوي مما تجود به قريحته عليه من لطائف ونكت، كل هذا لامحالة سيكون له وقع وفضل جزيل على ما سيخطه بعد ذلك في تفسيره.

ويبقى السؤال المطروح بعد ومضتنا هذه عن الكشاف وحضوره في المغرب الأقصى والأندلس، هو كيفية وصوله إلى هذه البلاد وانتشاره فيها؟ ومن مهد له بذلك؟. وقبل الخوض في الإجابة لابد من الالتفات إلى مرحلة تاريخية مضت كان الاعتزال مذهب الكثيرين في أصقاع مختلفة، وأصل ذلك أن واصل بن عطاء[2] رأس المعتزلة ومنظرها، كان له دعاة يبعث بهم في الآفاق لنشر مذهبه الجديد، وكان من بين من أرسلهم رجل يسمى عبدالله بن الحارث، أرسله إلى المغرب[3] والمناطق المحيطة بها، ومع أن المعلومات المرتبطة بهذه الشخصية نادرة فإنه يمكننا الجزم أن وصوله إلى المغرب كان في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري، نظراً لأن وفاة واصل بن عطاء كانت 131هـ، كما يمكننا التأكيد على أن الأصول الخمسة[4] التي عرفت بها المعتزلة لم تكن ناضجة بالشكل الذي أصبحت عليه في القرن الثالث الهجري[5].

ومما يروى أن واصلا قال لأحد دعاته في المغرب:" الزم سارية المسجد سنة تصلى عندها حتى يعرف مكانك، ثم أفت بقول الحسن سنة، ثم إذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا فابتدئ في الدعاء للناس إلى الحق"[6].

فظلت مناطق مشهورة بالاعتزال بفضل هؤلاء الدعاة، ومن جملتها ما حكاه أبو القاسم البلخي (ت 319هـ)

1- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أبو العباس المقري التلمساني، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، سنة 1358 هـ، الجزء 3، الصفحة 76 و 78.

2- واصل بن عطاء: أبو حذيفة المخزومي البصري، المعتزلي، ولد بالمدينة سنة 80هـ، البليغ، الأفوه، الصموت، وتوفي سنة 131هـ، من تصانيفه: "المنزلة بين المنزلتين". راجع: سير أعلام النبلاء، الجزء6، الصفحة 175.

3- فصل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، القاضي عبدالجبار، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسين للنشر، سنة 1974م، الصفحة: 237.

4- الأصول الخمسة عند المعتزلة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5- الملل والنحل للشهرستاني، مؤسسة الحلبي ، الجزء1، الصفحة 46

6- المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله، تأليف أحمد شوقي العمرجي، مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى سنة 2000م، الصفحة: 177.

[1]من أن" أنصار إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بطنجة وما والاه من بلاد المغرب أنهم معتزلة"[2]، ثم غلبت المعتزلة في تلك المدن، وسموا أنفسهم الواصلية[3]، وشبيه ذلك ما حكاه ابن الفقيه (ت365هـ) أيضا في كتاب 'البلدان'، في سياق حديثه عن الاعتزال في المغرب ، فيقول:"وبلاد طنجة مدينتها وليلة، والغالب عليها المعتزلة، وعميدهم اليوم إسحاق بن محمد بن عبدالحميد، وهو صاحب إدريس بن إدريس، وإدريس موافق له"[4].

وشأن الأندلس شبيه بشأن المغرب في انتشار مذهب الاعتزال في بعض أطرافه، وشهادة ابن حزم الأندلسي خير دليل على ذلك، لما قال:" وبلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الفِصَل، ولا اختلفت فيها النِّحل؛ لذلك قلَّ تصرفهم في هذا الباب. وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، ويؤلفون على أصوله"[5] ثم ساق من بعد قوله ثلة من دعاة الاعتزال فيها، والذين لم يكتفوا باعتناق هذا المذهب الكلامي فحسب، بل تعدوه إلى أن يكون لهم مجالس لنشره بين الأنام خاصة العوام منهم، والتأصيل له، فعد ابن حزم رحمه الله "منهم خليل بن إسحاق، والحاجب موسى حدير، وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد، وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك"[6].

انتشار هذا المذهب الاعتقادي في هذا الصقع من العالم الإسلامي وإن كان بخطوات رتيبة، بسبب تصدي بقية المذاهب له، ومحاولتهم وأده، والقضاء عليه بعد ردح من الزمن، صاحبه كذلك انتشار لتواليفهم ، وما ذلك إلا لتوطيد مذهب المعتزلة وبناء قوائمه على أصول متين، وعليه فإن تفسير الكشاف من بعد سيجد أرضا خصبة ليتم نشره فيها، وسينتدب خلق لتعلمه وتعليمه والدفاع عنه وبثه في الأمصار والأقطار، ويجعلونه إماما في محراب حياتهم.

1- من متكلمي المعتزلة البغداديين، صنف في الكلام كتبا كثيرة، وأقام في بغداد مدة طويلة، قال أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني:"كانت بيننا وبين أبي القاسم البلخي صداقة قديمة وكيدة، وكان إذا ورد مدينة السلام قصد أبي وكثر عنده، وإذا رجع إلى بلده لم تنقطع كتبه عنا، توفي في بلخ، أول شعبان سنة 329هـ. راجع: تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور بشار عواد، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة1، سنة 1422هـ.

2- ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين، ، أبو القاسم البلخي، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، سنة 1974م، الصفحة 119.

3- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبدالجبار وأبي القاسم البلخي والحاكم الحشمي،تحقيق فؤاد سيد، الصفحة 227.

4 - البلدان ابن الفقيه، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى، سنة 1416هـ، الصفحة : 136.

5- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ، الجزء 4، الصفحة 156.

6- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء 4، الصفحة: 156.

فلقد كان لأبي العباس المعروف بابن رأس غنمة[1] قصبة السبق في إدخاله إلى الأندلس، لما ارتحل بمعية صاحبه أبا بكر بن أحمد الكناني، قاصدا في رحلته المشرق، في حدود الخمس والتسعين وخمس مئة لأداء فريضة الحج[2]. بيد أن هذه الرحلة بمنافع أخرى إيمانية وعلمية، بحيث أصبحت لهم لقيا مع شيوخ الحجاز ، فلما قفلا إلى الأندلس، رجعوا مصطحبين فوائد وفرائد جمة، كتب لا وجود لها في الأندلس والمغرب الأقصى، استنسخوها من هناك، فمما جلباه تفسير " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، كأول تفسير من هذا اللون يصلهم، و"مقامات الزمخشري" وهي مقامات في الوعظ وقد شرحها مؤلفها نفسه، إضافة إلى دواوين علمية أخرى استنسخها ك"تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري، و"شرح السنة" للبغوي وغيرها[3]، والناظر في ترجمة ابن رأس غنمة يجد أن من أشهر ما نقله من الكتب إلى الأندلس والمناطق المجاورة لها هي مؤلفات الامام الزمخشري، ولعل الأمر راجع لاشتهارها وانتشارها في الآفاق خاصة تفسيره، ثم قرب عصر المؤلف ورحلة أبي العباس لأداء مناسك الحج.

المطلب الثاني: آراء علماء المنطقة في تفسير الكشاف، والتفاسير التي اعتمدت عليه كمصدر من مصادرها:

إن استصحاب أبي العباس للكشاف معه، واستنساخ الناس له وبداية شيوعه، كان فيه خير وافر وارف لأهل البلد، وعلى الضفة الاخرى فقد قابل بعض العلماء جلبه إياه بالرفض التام، ولم يعجبوا بصنيعه، فهذا شيخ المالكية محمد ابن زرقون رحمه الله[4] ينعى عليه ذلك، فرغم فوائده الجمة، إلا أن ثناياه ضمت عقائد المذهب

1- هو: أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي، من أهل إشبيلية، يُكنى أبا العباس، ويُعرف بابن رأس غنمة، عرف بأنه نبيل الخط نقي الوراقة حسن الطريقة كتب بخطه الكثير من دواوين العلم عموما ، ومن هذه المسماة خصوصا، باقتراح رؤساء عصره من الأمراء والقضاة واغتنامهم ما يكون بخطه عندهم وإجزالهم له المثوبة عليه، وكذلك كانوا يرغبون في مقابلته الكتب ومعاناة تصحيحها ثقة منهم بإتقانه وجودة ضبطه. راجع: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الجزء 1، الصفحة 221.

2- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق بشار عواد وغيره، أبي عبدالله محمد المراكشي، دار الغرب الإسلامي بتونس، الطبعة الأولى، سنة 2012، الجزء 1، الصفحة 221.

3- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الجزء 1، الصفحة 222.

4- أبو الحسين محمد بن زرقون، شيخ المالكية ، الإمام الكبير، برع في الفقه واللغة، عرف برجحان العقل، وفطنته، له "المعلى في الرج على المحلى" و"فقه حديث بريرة" وغيرها، توفي سنة 622هـ وعمره التسعين. راجع: سير أعلام النبلاء، الجزء 16، الصفحة 231.

الاعتزالي، وأن في تفاسير أخرى غنى عنه، فيقول معلقا: " قد كانت الأندلس منزهة عن هذا وأشباهه، ولم يزل أهلها أغنياء عن النظر في مثله، وإن في غيره من تصانيف أهل السنة في التفسير غُنية عنه، ولكل ذي عقل اختياره، والله ينفع أبا الحسين وأبا العباس بمقصدهما، فكلاهما نصح، أعظم الله أجره. وفي الكتاب المذكور جملة كبيرة جليلة وخفية مما أشار إليه أبو الحسين رحمه الله، ولكنه على ذلك مترع فوائد، ومشحون غرائب علمية لا توجد مجموعة في كتاب غيره البتة، سوى ما اختص به من كثير ما احتوى عليه من التنبيه على حسن نظم القران العظيم والإرشاد إلى بديع رصيفه والكشف عن وجوه إعجازه، والله يسمح للجميع ويتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم إنه جواد غفور رحيم"[1].

وقول شيخ المالكية ابن زرقون رحمه الله سديد ومنصف، مقرون بحسن الظن والدعاء، وهو بمنأى عن ثقافة التجريح والقدح، إذ أشار إلى الدرر المستجلبة من هذا التفسير، والجوانب التي يمكن الاستفادة منها، لثنيها بعد بالحديث عن ما تضمنه من مثالب لا يلتف إليها، ومرجحا إلى أن بين أيدينا تفاسير أجود منه، تكفينا إياه. إلا أن قوله رحمه الله بأن الأندلس نزهت عن الوقوع في شراك الاعتزال وحصنت من ذلك، فهذه دعوى جانب فيها الصواب، كما أشرنا سالفا من كون هذا المذهب كان له حضور في الغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأقصى والأندلس خاصة، وتظل نظرة علماء المنطقة عن الزمخشري رحمة الله عليه وتفسيره الكشاف تتباين بين قادح ومادح، وبين مثمن لحسناته، وراد على مثالب كتابه واعتزاليات صاحبه، ولو حاولنا لملمة صفوة ما قيل عنهما على لسان طائفة من أكابر علمائنا المعتبرين- سواء أكانوا من المنتسبين إلى هذا القطر نشأة أم استوطانا- لينجلي لنا هذا الاختلاف في الرؤى، ففي طليعة من نذكر في هذا الصدد ابن خلدون رحمه الله يحكي في كتابه الموسوم باسم "العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" مدى علو كعب الزمخشري في التفسير والإعجاز القرآني بخاصة، فيقول:"ولم يبد مفسر نشاطا واجتهادا أكثر من الزمخشري في بيان الإعجاز البلاغي لنظم القرآن"[2] ثم يشيح اللثام عن علة "تلك الظاهرة الأدبية التاريخية المتجلية

1- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الجزء 1، الصفحة 225.

2- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر-بيروت، الطبعة2، سنة: 1988م، الجزء1، الصفحة: 762. راجع: والتفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الجزء1، الصفحة: 314.

فى عناية أهل المشرق بفن البيان العربى أكثر من المغاربة، بأن الناس فى المشرق، على خلاف المغاربة يعنون بتفسير الزمخشري، وهو كله مبنى هذا الفن، وهو أصله"[1] .

ولما ساق الحديث عن علم التفسير وأقسامه، وعرج على ذكر التواليف التي اهتمت بشق البلاغة والبيان واللغة كمنهج في تأويل آي القرآن الكريم، وما ينتج عنه من جمالية في المبنى وجلالة في المعنى، ذكر شهادة أخرى في حق الكشاف، وعده الرائد في هذا المسلك، ويقر له برسوخ قدمه في ما يتعلق بالإعجاز القرآني، بل يعتبر جملة التفاسير السابقة كانت غافلة عن هذا الفن، ولم يتحقق ذلك حتى جاء جار الله فسن هذا المنحى في التعامل مع القرآن الكريم، ولولا بدعة اعتزاله وتشنيعه العلماء عليه في ذلك، لكان من أفضل ما يستغنى به عن غيره، حسب رؤية ابن خلدون رحمه الله، فيقول:" وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون، وأكثر تفاسير المتقدّمين غفل عنه حتّى ظهر جار الله الزمخشري، ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التّفاسير لولا أنّه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة، ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته في البلاغة"[2].

ورأيه من الآراء القلة لعلماء الغرب الإسلامي الذي لم يسلم بتفسير الكشاف على علاته، ويقبل بما بين دفتيه كليا، وفي المقابل فإنه لم يبخس قيمته أيضا، وينكر حسناته، بل كان قوله عوانا بين الأمرين، فالنفع يؤخذ منه ويُعتد به، ولا شك أنه نفع جليل، والضر يُطرح ولا يلتفت إليه، والحكمة ضالة المؤمن، وهو بهذا القول يشبه كثيرا ما ذهب إليه شيخ المالكية ابن زرقون رحمه الله الذي سلف ذكره في صدد تعليقه على استصحاب أبي العباس رحمه الله لتفسير الكشاف من الحجار إلى الأندلس .

وعلى الضفة الأخرى، ونقيضا لطرح ابن خلدون رحمة الله عليه سنجد علماء أجلاء سالين سيوفهم على الكشاف ومؤلفه، فكُفر عند البعض، وقدح في عدالته عند البعض الأخر، فمن هؤلاء عمر السكوني رحمه الله[3] الذي يرى أن جل تأويلات تفسيره هي مطية إلى الكفر البواح، وسبيل لنقض عرى الإيمان، فيكتب كما جاء في

1- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء1، الصفحة: 762. راجع: والتفسير والمفسرون، الجزء 1، الصفحة: 314 .

2- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء1، الصفحة: 763.

3- أب وعلي عمر السكوني المغربي المالكي، مفسر، متكلم، مقرئ، من أهل إشبيلية، نزل بتونس، من تصانيفه الكتاب الذي أشرنا إليه "لحن العامة" و"المنهج المشرق في الاعتراض على كثير من أهل المنطق"، وغيرها، توفي سنة 717هـ. راجع: معجم المؤلفين، الجزء7، الصفحة 309.

"لحن العامة والخاصة" : "تفسير الزمخشري أكثره اعتزال وفيه مواضع انتهى فيها إلى الكفر والعياذ بالله"[1]، وهذا تجريح في أعلى مراتبه، ولم يشفع لأبي القاسم جار الله أسلوبه البديع وبيانه الفصيح عند السكوني، لأنه يرى أن سلامة المعتقد ونفض غبار الاعتزال عنه أولى من كل اعتبار أخر.

وتشديده في الحكم على هذا التفسير لم يكن أخر رتوة له رحمه الله، بل تجاوز ذلك، وانتدب للرد عليه وتنفيد ما جاء به من عقائد فاسد وطعونات، فألف هو ووالده أبو بكر كتابا لبيان اعتزاليته التي يبثها في طيات تفسيره، والابن وافق أباه في نظرته إلى الكشاف، فيحكي عن اسم مصنفه، وأن باكورته كانت على يدي والده ثم حالت المنية دون أن يتمه، ليكمل الابن ما بقي منه، فيقول:"وقد صنفنا في الرد عليه كتابا سميناه «التمييز بما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز» [2] كان قد ابتدأه والدي رحمه الله، ثم من الله عز وجل في تكميله على يدي و الحمد لله على ذلك"[3]، وإجمالا فالمتأمل في قوله يرى مدى رفضه لما جاء به الزمخشري، وفي نظره الرد عليه من أوجب الواجبات التي يلزم أن يزال الغبش عنها لكي لا يغتر به.

أما صنف ثالث فقد أثنى عليه وامتدح تفسيره، ثم لما نبه عن مزالقه وتبين عكس ما يرى عرج على ذكر زلات منهجه في التفسير، وقصوره في التعامل مع النص القرآني، فخطأه ونبه على قبائحه، ومنهم صاحب "البحر المحيط" أبو حيان الأندلسي رحمه الله، إذ لما فسر قوله تعالى:﴿ **قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ [سورة النمل- الآي49] وذكر نكتا لطيفة، ومعاني جليلة، واستطرد في إبراز ذلك، فلما وصل إلى قوله تعالى"وإنا لصادقون" ساق قولا للزمخشري أعجب به، فاستشهد به في بيان معاني الآية، فعزا إليه قائلا: «وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه؟ قلت: كأنهم اعتقدوا إذا بيتوا صالحا وبيّتوا أهله، فجمعوا بين البياتيْن، ثم قالوا: ما شهدنا مهلك أهله، فذكروا أحدهما كانوا صادقين، فَإِنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما. وفي هذا دلِيل قاطِع على أَن الكذب قبِيح عند الكفرة الذِين لا يعرفون الشرع ونواهيه، ولا يخطر ببالهم. ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبِي الله، ولم يروا لأنفسهم أن يكونوا كاذبين حتى سووا الصدق فِي أنفسهم حيلة ينقصون بها عن الكذب؟ انتهى»[4]، ثم

1- المختار من كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، أبي علي السكوني، شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2005، الصفحة: 59.

2- سيأتي الحديث عنه.

3- المختار من كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، الصفحة: 59.

4- البحر المحيط في التفسير، الجزء: 8، الصفحتين: 252و253.

عقب عليه ووصفه وسفره، ونظم قصيدا في بيان هفواته التي بثها فيه: من سب للأعلام، واعتماده على الموضوعات في الحديث، وإيجازه المخل في التأويل، وتقوله على الله عز وجل ما لم يقل وغيرذلك مما ذكر، ونصه: " وهذا الرجل وإن كان أوتى من علم القرآن أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ، ففى كتابه فى التفسير أشياء منتقدة، وكنت قريبا من تسطير هذه الأحرف قد نظمت قصيدا في شغل الإنسان نفسه بكتاب الله، واستطردت إلى مدح كتاب الزمخشرى، فذكرت أشياء من محاسنة، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه، ورأيت إثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابى هذا، ويتنبه على تضمنه من القبائح، فقلت بعد ذكر ما مدحته به:

وَلَكِنَه فِيه مجَالُ النَاقِدِ	وَزَلَات سُوء قَد أَخْذَن المخَانقًـا
فَيُثْبت مَوْضُوعَ الأَحَادِيثِ جَاهِلًا	وَيَعْزُو إِلى المعْصُومِ مَا لَيْسَ لاَئِقًا
وَيَشْتُم أَعْلَام الأَئِــــــمَة ضلة	وَلَا سِيمَا إِنْ أَوْلجَوهُ المضَايِقَـــا
وَيَسْهُبُ فِي المعْنَى الوَجِـيز دَلَالَة	بِتَكْثِير أَلْفَاظٍ تُسَمَى الشَقَاشِقَا
يَقُولُ فِيهَـــا الله مَا لَيس قَائِلاً	وَكَان مُحِباً فِي الخَطَابَةِ وَامِقًـــا
وَيُخطِيءُ فِي تَرْكِيبِـــــه لِكَلَامِه	فَلَيْسَ لما قَد رَكَبُوهُ مُوَافِقَـــــا
وَيَنْسُبُ إِبْدَاء المـــعَانِي لِنَفْسِهِ	لِيُوهِمَ أَغْمَارًا وَإِنْ كَانَ سَارِقًـا
وَيُخْطِي فِي فَهْمِ القُـــرآن لِأَنَهُ	يجُوزُ إِعْرَابا أَبَى أَنْ يُطَابِقَـــا
وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يُؤتَى البَيَانَ سَلِيقَة	وَآخَر عَانَاهُ فَمَا هو لاَحـــقًا
وَيَحْتَالُ للْأَلْفَاظِ حَتَى يُدِيــرُهَا	لمِذْهَبِ سُوء فِيه أَصْبَح مَارِقَا
فَيَا خسره شَيْخ تَخَرُق صِـــيتَه	مَغَارِب تَخْزِيق الصبَا وَمَشَارِقَا
لَئِن لَمْ تُدَارِكهُ مِنْ اللهِ رَحْمَــــةٌ	لَسَوْفَ يرَى لِلْكَافِرِين مُرَافِقَا[1]

وصنف ثالث من العلماء قارن بينه وبين تفسير غيره، ولو اقتضى ذلك الإيجاز، ففي مقدمة تفسير "البحر المحيط" حكى أبو حيان الأندلسي رحمه الله عن مقارنة أبي القاسم بن بشكوال الأندلسي رحمه الله بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري رحمهما الله، الذي وصف هذا الأخير بالدقة المتناهية، وسبر أغوار المعاني، فكان بذلك تفسيره متفوقا على "المحرر الوجيز"، رغم مساوئه التي لم يغض الطرف عن إيرادها، وفي تلك المقارنة " أن الزمخشري

1- البحر المحيط في التفسير، الجزء8، الصفحتين: 252و253.

قائل بالطفرة[1]، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة، فربما سنح له آبى المقادة فأعجزه اعتياصه، ولم يمكنه لتأنيه اقتناصه، فتركه عقلا لمن يصطاده، وغفلا لمن يرتاده، وربما ناقض هذا المنزع، فثنى العنان إلى الواضح والسهل اللائح، وأجال فيه كلاما، ورمى نحو غرضه سهما، هذا مع ما فى كتابه من نصرة مذهبه، وتقحم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه، ونسبة ذلك إليه، فمغتفر إساءته لإحسانه، ومصفوح عن سقطه فى بعض، لإصابته فى أكثر تبيانه"[2]، وهذه الطعون هي مماثلة للتي أوردها صاحب البحر قصيدا.

وعلى الرغم من كون علماء الصقع الغربي من العالم الإسلامي (خاصة المغرب الأقصى والأندلس) لم يتقبلوا فكرة انتشار تفسير الزمخشري، أو قبلوا ببعض ما فيه دون تفسيراته الاعتزالية، فإن هذا لم يمنع العديد منهم وهم في صدد جمع تفاسيرهم من الاعتماد عليه كمصدر من المصادر اللغوية والبلاغية، مع تنقية الشوائب التي لم يستصيغوها، و نجد في صدارة من استعان بالكشاف مصادر يُستند عليه أبو حيان رحمه الله في الأندلس[3]، فأشهر من تأثر بهم في تفسيره هم الإمام الطبري وابن عطية وجار الله الزمخشري رحمة الله عليهم، وأشاد بهما كثيرا في مقدمة،" غير أن اختلاف العقيدة بين أبي حيان السنُي وبين الزمخشري المعتزلي جعل من أبي حيان رَصَداً للزمخشري في تأمُلاته وتأويلاته"[4] ولأنه أثنى عليه وأعجب بريشته الذهبية في التحرير" وامتدحه لجلالة علمه وواسع ثقافته فلا مناص من أن يتأثر بآرائه وينقل أقواله، وإن كان حذراً متيقظا من جهة معتقده"[5].

وتأثره به قد يدفعه إلى أن ينقل عنه نصوصا مطولة نقلا حرفيا من غير تصرف فيها، ويقيني أن الإعجاب بطرحه مدعاة لأن ينسخ أقواله، فلما شرع مثلا في سورة البقرة وأتى على قوله تعالى في الآية 73: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ ثم قال[6]: قال الزمخشري: « فِي الأسباب والشروط

1- جاء في الملل والنحل للشهرستاني دار الكتب العلمية، الجزء الأول، الصفحة 49:" الطفرة في اللغة : الوثقة، والمراد بها انتقال جسم من أجزاء المسافة إلى أجزاء أخرى منها من غير أن يحاذى ما بينهما من أجزائهما، والنظام ممن يقول بالطفرة" انتهى كلامه.

1- البحر المحيط، الجزء 1، الصفحة: 113.

3- وسنكتفي بأبي حيان الأندلسي نموذجا من الأندلس، لا لتفرده عن غيره بها، وإلا فهناك غير ممن استعان بتفسير الزمخشري واتكأ عليه، ولكن المقام لا يتسع لذكرهم جميعاً.

4- مدرسة التفسير في الأندلس، مصطفى المشيني، مؤسسة الرسالة- بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1986م، الصفحة: 706.

5- المصدر السابق، الصفحة: 706.

6- البحر المحيط، الجزء1، الصفحة: 421.

حكم وفوائد، وإنما شرط ذلك لِما فِي ذبح البقرة من التقَرب، وَأداء التكلِيف، واكتِساب الثواب، والإشعار بحسن تقديمِ الْقربة على الطلب، وما في التشديد عليهم، لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد، والمسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى، وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال، ونفع اليتِيم بالتجارة الرابحة، والدلالة على بركة البر بالأبوين، والشّفقة على الأولاد، وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه، ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء، وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه: أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به، وأن يختاره فتي السن غير فخم ولا ضرع، حسن اللون بريئا من العيوب، يونق من ينظر إليه، وأن يغالي بثمنه، كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار، وأن الزيادة في الخطاب نسخ له، وأن النسخ قبل الفعل جائز، وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البدء، وليعلم بما أمر من مس الميت بالمِيت، وحصول الحياة عقيبه، وأن المؤثر هو الْمسبب لا الأسباب، لأن الموتَيْن الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حياة. انتهى كلامه»[1]، وقد ساق قوله هذا من غير زيادة أو نقصان، واكتفى في ختامه أن يذيل تعليقا عليه "وهو حسن".

وخليق بالذكر أن هذا التعلق به لم يكن على علاته، بل في مواطن شتى من بحره تعقب أبو حيان أقواله ورد عليه فيما يراه مخالفا له للنص أو الإجماع أو اللغة، فمثلا عند تفسيره لسورة النساء الآية 13 في قوله تعالى:﴿**وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَه يُدخِلْه جَنَات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدينَ فِيهَا وَذَلك الفَوْزُ العَظِيم**﴾، يقول: "وقال الزمخشري: «وانتصب خالدين وخالدا على الحال. (فإن قلت): هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا؟ (قلت): لا، لأنهما جريا على غير من هما له، فلا بدّ من الضمير وهو قولك: خالدينَ هم فيها، وخالدًا هو فيها انتهى»[2]، فخطأه في ما ذهب إليه، وأن"ما ذكره ليس مجمعا عليه، بل فرع على مذهب البصريين. وأما عند الكوفيين فيجوز ذلك، ولا يحتاج إلى إبراز الضمير إذا لم يلبس على تفصيل لهم في ذلك ذكر في النحو. وقد جوز ذلك في الآية الزجاج والتبريزي أخذ بمذهب الكوفيين"[3].

أما في المغرب الأقصى فإن خلقا غفيرا من أهل العلم اعتمدوه في تفاسيره بالرغم من معرفتهم بتوجهه ومنهجه، فالشيخ محمد بوستة رحمه الله اقتصر في تفسيره "غريب القرآن الكريم" على النقل من التفاسير المشهورة، فيصرح بذلك في ديباجة كتابه، ويبين فيها بواعث التأليف وأنه ليس له إلا النقل والترتيب، ففي ثنايا حديثه عن

1- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1407هـ، الجزء1، الصفحة: 154

2- هذا أورده الزمخشري في كشافه، الجزء1، الصفحة: 487.

3- البحر المحيط، الجزء3، الصفحة: 551.

منزلة القرآن الكريم يقول:"لايخف أن تلاوة القرآن العظيم، من أفضل ما يتقرب به المتقربون إلى الله عز وجل، خصوصا مع فهم المعنى، وكنت قبل اليوم إذا شكلت علي كلمة منه عند التلاوة، أبحث عن معناها وأقيده، فاجتمعت عندي من ذلك تقاييد، فاستخرت الله تعالى في جمعها، لتكون بحول الله تذكرة لنفسي ولمن شاء الله أن ينفعه بها من أمثالي القاصرين من أبناء جنسي، جمعت ذلك كله من تفسير الجلالين وحاشية الجمل عليهما ولباب التأويل، وكشاف الزمخشري وغيرها، وليس لي في ذلك إلا النقل والترتيب، ناسبا كل قول لقائله، فمن رأى في ذلك تحريفا أو غلطا، فليراجع الأصل المنقول منه"[1]، وقياسا عليه تفسير "تنبيه الأنام على ما في كتاب الله من المواعظ والأحكام" أحمد الرهوني رحمه الله[2]، وصنف قبلهما زيدان منصور رحمه الله تفسيرا اعتمد فيه على ابن عطية والكشاف[3]، وعلي الأنصاري الجياني رحمه الله[4] الذي حكى عنه السملالي في الإعلام عن محاولته الجمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية، فلخص منه جملة واخترم قبل إتمامه [5]، ومثيل صنيعهم عبدالكبير الغافقي الإشبيلي رحمه الله [6]، إذ سمع منه الرعيني تلميذه:" كثيرا من السير لابن إسحاق، ومن البخاري، وسمع الشهاب

1- محمد بن عبد السلام بن أحمد بوستة، كان حيا سنة 1927 م: لغويّ من العلماء بالتفسير. من أهل مراكش. صنف تفسير غريب القرآن وهو مخطوط. راجع: الأعلام، الجزء 6، الصفحة 207. وتفسير غريب القرآن: محمد بوستة ، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط، رقمه: 2114ك، الصفحة1، وعدد صفحاته293 بخط المؤلف.

2- أبو العباس أحمد بن محمد الرهوني، ولد سنة 1871م بتطوان، مؤرخ وأديب، ولي رئاسة المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بتطوان، له كتب عدة منها:"عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" واختصار الاستقصا" و" اختصار نفح الطيب" وغيرها. راجع: الأعلام،الجزء 1، الصفحة: 253.

3- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحتين:12و13.

4- علي بن محمد بن حسن الأنصاري، جياني الأصل، نزيل مراكش، تلميذ ابن الشلوبين في العربية والآداب، استقضي بحصن القصر بإشبيلية، وكان كاتب الرشيد الموحدي، وولي خطة الأشراف على بلاد حاحة من نظر مراكش، فتوفي بتامطريت. راجع: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس السملالي، المطبعة الملكية- الرباط، سنة 1983م، الطبعة الثانية، الجزء09، الصفحات: من 136 إلى 146.

5- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الجزء 09، الصفحة:136.

6- أبو محمد عبدالكبير بن محمد بن عيسى بن بقي الغافقي، إشبيلي، عالم متبحر سريع الدمعة، من أهل المروءة والصلاح. راجع: برنامج شيوخ الرعيني، الصفحات: من37 إلى 39.

منه غير مرة، وحضر عنده قراءة مختصر ابن أبي زيد تفقها، وقرأ عليه وسمع جملة من كتابه في التفسير، الذي جمع فيه بين تفسيري الزمخشري وابن عطية"[1].

والاعتماد على تفسير الكشاف لم يظل حبيس اليراع والكتاب فقط، بل كان مما يستشهد به أثناء إقراء التفسير على الطلاب، فمؤلف "بلغة الأمنية" يحكي عن جلوسه في مجلس محمد المكناسي رحمه الله المعروف بابن السكاك[2]، فيقول: "حضرت إقراءه للتفسير، فكان يتكلم على معاني القرآن وبلاغته المعجزة، بأفصح لسان وأحسن عبارة، وينص على كلام شرف الدين الطيبي في تفسيره، وكان يستظهر التبيان في علم البيان له، ويأتي بكلام أبي القاسم الزمخشري في الكشاف، ويقال فيه الكاشف، وينبه على ما يتعلق به من الاعتزال إلى غير ذلك"[3]، ونفس الحال ما أورده أبو العباس المنجور[4] في سياق ترجمته للمفسر بلقاسم الدكالي رحمة الله عليهما[5]، فقال:" كان من الأساتيذ المعتبرين، عارفا بعلوم القرآن أداة ورسما وتفسيرا، وكان ينقل في التفسير كلام فارسي التفسير: ابن عطية والزمخشري، ويضيف إلى ذلك من كلام السفاقسي وغيره[6].

المطلب الثالث: التواليف التي صنفت على تفسير الكشاف في المنطقة

1- برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح،وزارة الثقافة والارشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، طبعة 1962م–دمشق، الصفحات من37 إلى 39.

2- محمد بن أبي غالب بن أحمد المكناسي العياضي، القاضي، الامام، المفسر، المعروف بابن السكاك، قاضي الجماعة بفاس، من تصانيفه:" نصح ملوك الإسلام، بالتعريف لما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام" توفي بفاس سنة ثماني عشرة وثمانمائة. راجع: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط، سن 1973م، الصفحة : 238.

3- بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، محمد بن تاويت، الصفحة 184.

4- أحمد المنجور، الشيخ الإمام الفقيه المعقولي المؤلف، كان أحفظ زمانه، وأعرفهم بالتاريخ والبيان، له كتب عدة: كالحاشية الكبرى والحاشية الصغرى، ومراقي المجد في آيات السعد، وشروح كثيرة، توفي رحمه الله يوم الاثنين16 من ذي القعدة عام 995هـ. راجع: درة الحجال في أسماء الرجال، أبو العباس المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، الطبعة الأولى سنة 1971م، الجزء 1، الصفحة: 163.

5- بلقاسم بن محمد بن إبراهيم الدكالي، نحوي أديب مفسر من فقهاء المالكية نسبته إلى دكالة بلدة بالمغرب كان من أئمة القراءات. راجع: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، الجزء2 ، الصفحة: 767.

6- المصدر نفسه، الجزء2، الصفحة 767.

لقد كان من ثمار دخول تفسير الكشاف إلى الأندلس على يد المترجم، ثم انتقاله إلى المغرب الأقصى إبانه بفضل جسور الحركة العلمية السائدة فيها وقتئذ، أن استفادوا منه في تفاسيرهم تصنيفاً وتدريساً كما سلف، في حين اشتغلت طائفة أخرى من الأندلسيين ومغاربة الأقصى خلال هذا العقد وما عبده بمدارسة متنه، وخطوا كتبا عليه، وقد سلكوا في سبيل ذلك طرائق قددا، إما شرحا، أو اختصارا، أو تنقيته من مذهب الاعتزال، أو نقدا له، أو مقارنته بغيره، وهذه التنصانيف عن هذا التفسير بعضها قد رأى النور وحقق وطبع، والبعض الأخر لا يزال راكدا إما ضائعا، أو مخطوطا في تخوم الخزائن يستدعي من يحققه ويخرجه إلى الساحة المعرفية، وبيان المسألة فيما يلي:

- الحواشي والتعاليق:

من أجلها حاشية على الكشاف لأبي العباس أحمد بن محمد المراكشي مولده سنة 649 هـ وتوفي سنة 721 ، المعروف بابن البناء، وهو "الإمام العالم المشهور المتفنن في العلوم العارف بالتعاليم والهيئة والنجوم المشهور باتباع السنة النبوية وبالصلاح والدين المتين. قال الحافظ ابن رشيد: لم أرَ عالما بالمغرب إلا رجلين ابن البناء بمراكش وابن الشاط بسبتة"[1]، وكان ابن خلدون رحمه الله إذا تحدث عنه في رحلته لا يذكره إلا بالإمام أبي العباس المراكشي تعظيما لقدره وإجلالا لمنزلته وفضله، لأنه في نظره" شيخ المعقول والمنقول، والمبرز في التصوف علمًا وحالاً.. . كان إمامًا في علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها"[2]، له كتب كثيرة في فنون من العلم منها: حاشية على الكشاف في شرحه وبيان معانيه، والاقتضاب، والتقريب للطالب اللبيب في أصول الدين، ومنتهى السول في علم الأصول، وتنبيه المفهوم على إدراك العلوم، وشرح على تنقيح القرافي وتلخيص في الحساب وشرحه رفع الحجاب، وكليات في المنطق وشرحها وجزء في الجدل وكليات في العربية وغير ذلك مما هو كثير في فنون شتى، واسع الترجمة كثير الكرامات[3].

يقول محمد المنوني رحمه الله: "...تعاليق على الكشاف للزمخشري، وقف عليها ابن الخطيب القسمطيني رحمه الله ولاحظ أن مؤلفها إنما اهتم بمواضع الاعتزال المبثوثة في التفسير، فيبسط الشبهة ويجيب عنها، وقد استمرت هذه التعاليق معروفة بالمغرب حتى المئة الهجرية العاشرة حيث أفاد منها أبو العباس أحمد المنجور، وكانت

1- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية -لبنان، الطبعة1سنة: 1424 هـ الجزء1، الصفحة :310.

2- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء7، الصفحتين: 520و521.

3- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء1، الصفحة :310.

بين مصادر كتابه "مراقي المجد لآيات السعد"[1]، والذي يبدو أن هذه الحاشية هي التي يسميها ابن القاضي رحمه الله اختصارا لتفسير الزمخشري[2]، وهذا ذكره المنوني رحمه الله أيضا[3]، وفرضا بصحة ما ذهب إليه فلربما أراد بالاختصار تنقيح ابن البناء رحمه الله للكشاف من المسائل المتعلقة بمذهب صاحبه، والشرح إنما هو في استفاضة في المباحث الأخرى، سيما أن الزمخشري كما ذكرنا ضليع في البلاغة والبيان.

– حاشية الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي شرف الدين المتوفى سنة 743هـ، وكان من علماء الحديث والتفسير والبيان، غنيا منفقا على ذوي الحاجة وطلبة العلم، شديدا في الرد على المبتدعة، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، له تصانيف، أشهرها حاشيته على الكشاف في التفسير الموسومة باسم" فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب" [4].

– من الشروح أيضا عليه كتابه "غاية الاتحاف فيما خفي من كلام القاضي والكشاف" لمحمد بن أحمد بن عيسى المغربي المالكي، وهو مفسر، مشارك في بعض العلوم، من آثاره شرحه ذاك على الكشاف، الذي فرغ من تأليفه سلخ جمادى الأولى سنة 1005 هـ، و"بديع الجوهر النفيس في بيان عينية الرئيس ابن سينا"[5].

–حاشية السلطان الذهبي أحمد المنصور (956هـ-1012هـ)، وجاء في ترجمته أن اسمه: أحمد بن محمد الشيخ المهديّ بن القائم بأمر الله عَبْد الله بن عبد الرحمن بن علي، من آل زيدان، أبو العباس السعدي، المنصور بالله، ويعرف بالذهبي: رابع سلاطين الدولة السعدية وكان محبا للعلم، كتب إلى بعض علماء مصر يستجيزهم فأجازوه [6]، توفي بالوباء بمدينة فاس، له حاشة على تفسير الكشاف ناقش فيها الزمخشري وغيره، وجمعها قائده علي بن منصور الشياظمي[7].

1- ورقات عن حضارة في العصر المرينين، محمد المنوني، منشورات كلية الآداب- الرباط، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، سنة 1420هـ، الصفحة: 265.

2- درة الحجال في أسماء الرجال، أبو العباس أحمد بن القاضي، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث- القاهرة، و المكتبة العتيقة-تونس، الطبعة الأولى ، سنة 1391هـ، الجزء1، الصفحة:15.

3- ورقات عن حضارة في العصر المرينين، الصفحة: 265.

4- الأعلام، الجزء2، الصفحة: 256.ومعجم المؤلفين، الجزء4، الصفحة: 53.ومعلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحة:31.

5- معجم المؤلفين، الجزء 8، الصفحة: 306، وكذا الجزء9، الصفحة: 22.

6- الأعلام، الجزء1، الصفحة: 235.ومعجم المؤلفين، الجزء2، الصفحة: 183.

7- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحة: 29.

- حاشية بوعبدلي، وهو محمد بن عبدالله الرجراجي، مفتي مراكش وقاضي تادلا، له مشاركة في الحديث والفقه، النحو والبيان والمنطق، أقرأ التفسير بفاس لما صحب السلطان أحمد المنصور الذهبي، وكلفه هذا الأخير باختصار الكشاف وتتبع سقطاته والرد عليها، فاستجاب لذلك وصنف حاشية عليه، توفي سنة 1022هـ[1].

-تقييد على الكشاف للعلامة علال بن محمد بن جلون الكومي الفاسي، ولد سنة بفاس وتوفي سنة 1192هـ، وكان شابا لم يصل الأربعين، المحقق المشارك المحدث، وكان صاحب همة لا تعرف الكلل ، قال فيه صاحب السلوة:" ما رأيت قراءة أعجب من قراءته ولا أشد تحقيقا ولا أعظم تلخيصا وجمعا"[2].

- حاشية على الكشاف لأبي الحسن علي بن محمد بن جلول الفاسي، الفقيه الإمام العمدة الهمام كان من أعلام الصوفية له تهجد وتلاوة وفهم ثاقب ورأي صائب، أخذ عن أعلام كالطيب بن كيران وحمدون ابن الحاج والزروالي واليازغي، له تقاييد على الأبي ومصابيح السنة للبغوي وعلي بن سلمون وعلى الكشاف لم تكمل، توفي سنة 1292هـ[3].

- وألف محمد المختار السوسي رحمه الله (1383هـ) طررا على تفسير الكشاف وهو تقييد له، والمؤلف من الأدباء المؤرخين الشعراء المشاركين في كثير من الفنون.

- وأما حاشية "الكشف عن مشكلات الكشاف" لعمر بن عبدالرحمن القزويني، فهي لا تنتمي إلى القطر الذي نلسط الضوء عليه في دراستنا، وليس كما توهم عبدالعزيز بن عبدالله رحمه الله رحمة واسعة حين ظن سهوا منه أن المؤلف مغربي من أهل فاس، وسبب هذا الالتباس عساه الخلط الذي وقع له في نسبه بين كلمتي" الفارسي" التي ظنها "الفاسي" عندما نقل ترجمته من كتاب" كشف الظنون" رحمه الله[4]، وعلى منواله سارت مؤلفة "التفسير والمفسرون في المغرب الأقصى" حين ظنت أيضا أن صاحب الحاشية مغربي فاسي[5].

الردود عليه :

1- الإعلام ، الجزء4، الصفحة: 263. ومعلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحة: 38.

2- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، الجزء1، الصفحة:253. والتفسير والمفسرون في المغرب الأقصى، سعاد الأشقر، دار السلام، الطبعة 1، سنة 2010م، الصفحة: 60.

3- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الصفحة: 577.

4- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، الصفحة:34، كشف الظنون، الجزء2، الصفحة: 1480.

5- التفسير والمفسرون في المغرب الأقصى، الصفحة: 60.

-"فممن رد عليه أو نبه على ما فيه من اعتزال أبو بكر يحيى بن أحمد السكوني رحمه الله المتوفى سنة 626هـ، وذلك في كتابه "الحسنات والسيئات" الذي انتقى فيه مستطرف غرائبه البيانية وأبدى أيضا ما تضمنه من سوء انتحاله في ركيك اعتزاله"[1].

-رد أبي علي عمر بن محمد خليل السكوني المغربي المتوفى سنة 717هـ، الموسوم باسم "التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز"، تحدث حاجي خليفة رحمه الله[2] عنه فقال:"كتاب التمييز على الكشاف، تكلم فيه في الامام فخز الدين وغيره بما لا يعاب به عالم"[3]، وقد سمى السبكي كتابه باسم أخر فقال:" للشيخ الفاضل أبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني المغربي، سماه:" مقتضب التمييز"[4].

-رسالة اعتراض على الزمخشري لأبي عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي، شيخ الجماعة بفاس، المفسر الكبير. ولد بفاس سنة 1172هـ، أخذ الشيخ ابن كيران العلوم الشرعية واللغوية بنفس المدينة، تفرد الشيخ في وقته بالجمع بين علمي المعقول والمنقول، والفروع والأصول، وله في العربية باع مديد ونظم سديد، واشتغل بالتدريس في القرويين، ومن الفنون التي درّسها وأجاد فيها: التفسير، والمنطق، والتصوف، والنحو، والبلاغة، وعرف في أكثر هذه الفنون بالاجتهاد لا بالتقليد، لذلك تمتع باحترام كبير من طرف السلطان المولى سليمان الذي كان يستشيره في الكثير من المشكلات والملمات، وبالجملة فالشيخ من أفذاذ العلماء وكبارهم.

ألف تآليف عديدة، تنيف على العشرين، منها: تفسير جليل من سورة النساء إلى غافر، وشرح توحيد المرشد المعين، وشرح الخريدة في المنطق، وشرح ألفية العراقي في السيرة، وحاشية على توضيح ابن هشام، وشرح على الحكم العطائية، وشرح على الصلاة المشيشية، وشرح رسالة المولى سليمان في الكسب، ونظم في المجاز والاستعارة؛ مشهور بين الطلبة وقد شرحه أكثر من عالم، وغير ذلك من التآليف الجيدة التحرير، توفي رحمه الله يوم 17 محرم الحرام سنة 1227هـ، وكانت جنازته مشهودة، حضرها خلق كثير[5] .

1- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الجزء1، الصفحة: 224.

2- مصطفى بن عبدالله المشهور بحاجي خليفة، ولد بالقسطنطينية سنة 1004هـ، وبها توفي سنة 1067هـ، من أشهر ما ألفه" كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" و" سلم الوصول إلى طبقات الفحول"، وغيرها.

3-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى حاجي خليفة، تحقيق محمد بالتقايا و رفعت الكليسي، مؤسسة التاريخ العربي، الجزء2، الصفحة: 1482 -معلمة القران والحديث، الصفحة 35.

4-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء 2، الصفحة 1482.

5- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، الجزء3، الصفحات:3-5.ومعجم المؤلفين، الجزء 10 الصفحة: 109.

ورسالته هذه في الاعتراض عليه صغيرة الحجم عظيمة النفع، استهدفت في مضمونها الميل المبالغ للزمخشري إلى المجاز وعدوله عن الحقيقة في تفسير الآيات مما يتناسب ومعتقده الاعتزالي، وهذه الرسالة لاتزال مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط، لم تحقق بعد-حسب علمي- وهي تحت رقم 1127ضمن مجموع 3، تضم كل ورقة من 9 إلى 12 سطرا، بخط حسن، لم يرد فيها اسم الناسخ أو تاريخ ذلك، كتبت بمداد أسود وأحمر، أولها:" الحمد لله ، حق حمده..." وأخرها "... وبالله التوفيق"[1].

المختصرات:

اختصره محمد بن علي ابن العابد الأنصاري، وأصله من مدينة فاس ، وكان إماما في الكتابة والأدب واللغة والتاريخ والفرائض والحساب والبرهان عليه، من الفحول المبرزين في حفظ الشعر ونظمه ونسبته إلى قائله، عرف عنه نسخ الكتب والمطالعة والاجتهاد ولم يفتر عن ذلك، واختصر" الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل " وأزال عنه الاعتزال[2].

كتب أخرى:

من لطائف ما خط العلامة محمد الصغير بن محمد اليفرني المراكشي بأنامله كتابه الفريد في نوعه، الوحيد في فحواه، بعنوان: "طلعة المشترى في ثبوت توبة الزمخشري"، وهو في ورقات معدودات، كما حكى الزركلي رحمه الله[3].

ترجمة المؤلف فهو: محمد الصغير بن محمد بن عبد الله بن علي الأفراني الأصل اليفرني المراكشي الموطن، المعروف بالصغير، وهو مؤرخ وأديب، من رجال الدولة في سلطنة المولى إسماعيل. ولد بمراكش تقريبا سنة 1080هـ، وأخذ عن علمائها وعلماء فاس. وصنف كتبا، منها "صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر" و "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي" و "المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل" و "فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث" و"طلعة المشتري في ثبوت توبة الزمخشريّ" الذي نعرف به، توفي بعد سنة 1155هـ[4].

1- التفسير والمفسرون في المغرب الأقصى، الصفحة 148، نقلا عن فهرس المخطوطات القرآنية المحفوظة بأشهر الخزائن المغربية، الصفحة 349.

2- جذوة الانفاس فيما ذكر من أعلام فاس، الصفحة:231. ومعلمة القران الحديث صحفة21 .

3- الأعلام، الجزء7، الصفحة:68.

4- الأعلام، الجزء7، الصفحة: 67. ومعجم المؤلفين، الجزء 8، الصفحة: 285.

والكتاب كما ينجلي من عنوانه يروم بيان تراجع الزمخشري عن مذهبه الاعتزالي، وتوبته مما كان يتبناه لما تبين له فساده، وقد خلف رأي محمد الصغير انطباعات متضاربة بين الناس، فمنهم جمهرة من أهل العلم رأوا عدم تصديق ما ذهب إليه، واعتبروه من قبيل المحال المتخيل، وأثير كلام عن ذلك، حتى أن الإمام شمس الدين الراعي الغرناطي المتوفى سنة 853هـ يحكي "حكاية لطيفة: -فيقول- كان شيخنا أبو الحسن علي بن سمعت الغرناطي رحمه الله يقول: شيئان لا يصحان: إسلام إبراهيم بن سهل، وتوبة الزمخشري من الاعتزال"[(1)].

ثم يقول الراعي رحمه الله في موضع أخر مبيناً كلام شيخه، ومضيفا إليه وجود رسم محكم فيه تصريح بتوبته: "قلت: وهما في مروياتي. أما إسلام إبراهيم بن سهل: فيغلب علي ظني صحته؛ لعلمي بروايته. وأما الثاني- توبة الزمخشري- فقد ذكر بعضهم أنه رأى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمن توبة الزمخشري من الاعتزال، فقوي جانب الرواية، انتهى باختصار"[(2)].

وهذا الأثر ليس فيه ما يبرز صدق ثبوت هذه التوبة من مذهبه، ناهيك أن الرسم الذي تحدث عنه الراعي رحمه الله لم يشر إلى مصدره وكاتبه، وهل هو من خط الزمخشري أم نقل عنه فقط، لكي نجزم بصحته؟، لهذا الذي عليه الأغلبية أنه لا يصح، ولو صح لذاع صيته، وبث خبره في كتب التراجم والأعلام، خاصة أن الأمر متعلق بعلم من الأعلام المعتبرين في التفسير، وفي هذا السياق أبو العباس المقري رحمه الله يتحدث عنه :" وذكر بعضهم أنه تاب، ويأبى ذلك تصريحه في كشّافه بما خالف السنة جهارا؛ فإنه لو صح ذلك لمحاه، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانْتحاه"[(3)].

الخــاتمة:

لقد اتخذت هذه الدراسة تفسير الكشاف للإمام الزمخشري رحمه الله في المغرب الأقصى والأندلس محور دراستها، وممن الخلاصات التي تقررت فيها، ما يلي:

- أن تفسير الكشاف من أهم مصادر التفسير في المغرب الأقصى والأندلس، خاصة في مناحي البلاغة والبيان.

- لعلماء المنطقة في تعاملهم مع تفسير الكشاف للإمام الزمخشري مواقف متباينة .

1- المستقل بالمفهومية في حل ألفاظ الجرومية، شمس الدين الراعي، تحقيق أحمد محمد جاد الله، دار النوادر-دمشق، الطبعة الأولى، سنة 2012م، الصفحة : 273، 274.

2- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، الجزء 3، الصفحة: 524.

3- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، الجزء:3، الصفحة: 283.

- ألف عن هذا التفاسير في المغرب الأقصى والأندلس مؤلفات عدة، كان منها ما يشرحه ويعلق عليه، ومؤلفات أخرى لنقده والرد عليه، وأخرى لاختصاره وتنقيته من مذهبه، أو مقارنته بتفسير ابن عطية رحمه الله.

والله نسأل التوفيق والسداد والهداية والرشاد.

ثبت المصادر والمراجع:

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أبو العباس المقري، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة، سنة1358هـ.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، طبعة 15، سنة 2002م.

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس السملالي، المطبعة الملكية- الرباط، سنة 1983م، الطبعة 2 .

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة:1420هـ.

- برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، طبعة 1962م-دمشق.

- البلدان ابن الفقيه، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى،سنة 1416هـ.

- بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، محمد بن تاويت.

- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة: وهبة- القاهرة.

- التفسير والمفسرون في المغرب الأقصى، سعاد الأشقر، دار السلام، الطبعة الأولى، سنة 2010م.

- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور بشار عواد، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة1، سنة 1422هـ.

- جامع البيان في تأويل القرآن، الامام ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة للنشر، الطبعة الأولى سنة 1420هـ.

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط، سن 1973م.

- جذوة المقتبس الحميدي، دار الغرب الإسلامي، تحقيق بشار عواد، سنة 2008م، الصفحة: 354.

- درة الحجال في أسماء الرجال، أبو العباس المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، الطبعة الأولى سنة 1971م، وطبعة دار التراث- القاهرة، و المكتبة العتيقة-تونس، الطبعة الأولى، سنة 1391هـ.

- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد الحسني الشفشاوي، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر- سلسلة التراجم، الطبعة الثانية.

- ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين، أبو القاسم البلخي، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، سنة 1974م

- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لأبي الطيب المكي الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، سنة: 1990م.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبدالله محمد المراكشي، تحقيق بشار عواد معروف وغيره، دار الغرب الإسلامي- تونس، الطبعة الأولى، سنة 2012م.

- زهر الأكم في الأمثال والحكم، أبو علي اليوسي، تحقيق: محمد حجي، الشركة الجديدة – دار الثقافة بالدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1401هـ.

- سلسلة الفهارس فهرس المنجور، أحمد المنجور، تحقيق، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، دار المغرب-الرباط، طبعة 1396هـ.

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد جعفر الكتاني، تحقيق حفيده: الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني، الموسوعة التاريخية لتاريخ فاس، بدون طبعة.

- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 م.

- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة 1427هـ.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية -لبنان، الطبعة1سنة: 1424 هـ.

- طبقات الحضيكي، محمد بن أحمد الحُضيكي، تحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديد- الدار البيضاء، الطبعة 1.

- طبقات المفسرين، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- طبقات المفسرين، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة 1396هـ.

- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبدالجبار وأبي القاسم البلخي والحاكم الحشمي، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر.

- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، تعليق: عبدالفتاح القارئ، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1976م.

- فهارس علماء المغرب منذ النشاة إلى القرن الثاني عشر للهجرة: منهجيتها، تطورها، قيمتها العلمية، عبدالله الترغي، رسالة ماجستير بكلية الآداب والعلوم الانسانية التابعة لجامعة محمد بن عبدالله بفاس، سنة 1983هـ.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، سنة 1407هـ.

-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى حاجي خليفة، تحقيق محمد بالتقايا و رفعت الكليسي، مؤسسة التاريخ العربي.

- المختار من كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، أبو علي السكوني، شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2005.

- معجم المؤلفين، لعمر كحالة، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- المهدي بن تومرت: حياته، وآراؤه، وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره في المغرب، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي بلبنان.

- الملل والنحل، لمحمد الشهرستاني ، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، سنة 1992م.

- مدرسة التفسير في الأندلس، مصطفى المشيني، مؤسسة الرسالة- بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1986م.

- المستقل بالمفهومية في حل ألفاظ الجرومية، شمس الدين الراعي، تحقيق أحمد محمد جاد الله، دار النوادر- دمشق، الطبعة الأولى، سنة 2012م.

- مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبدالعظيم الزرقاني دار إحياء الكتب العربية، تحقيق عيسى البابي الحلبي.

- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، سنة 1983م.

- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى عبدالعزيز بن عبدالله، مركز البحوث بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، سنة: 1405هـ.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1968م.

- ورقات عن حضارة في العصر المرينين، محمد المنوني، منشورات كلية الآداب- الرباط، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، سنة 1420هـ.